**أسلوبية الشعر المهجري**

صحيح ان المهجريين شعراء عرب وصحيح أنهم كتبوا شعرهم بالعربية بل بأوزانها وقوافيها وصورها الشعرية لكن الصحيح أيضا أن اختلاطهم الحضاري بالغرب قد أصاب شعريتهم العربية بشديد الأذى، فقد ابتعدوا عن النبع مرتين الأولى مكانية والثانية أسلوبية، ونقصد بالأخيرة الشكل الفني الذي قد تؤدي المغامرة بتغييره أو استدعاء أشكال وافدة من الخارج إليه إلى إضاعة الشعر مرة واحدة.

من المعروف ان لغة الشعر -لاسيما الشعر الكلاسيكي- تختلف كثيرا عن لغة النثر، فكل منهما حقوله الإبداعية. ولكن ما فعله المهجريون من هدم الأسوار بين لغة ولغة النثر يترك أكثر من تساؤل، فقد قال أحد الباحثين: (إن العبارة في الأسلوب المهجري تبدو في بساطة منقطعة النظير في الشعر فتراهم ينظمون بأسلوب اقرب ما يكون إلى النثر).

ففي حين تأثر شوقي والجواهري والبارودي بالمتنبي، وأبي العلاء، وأبن الرومي، تأثر إيليا أبو ماضي وجبران ونعيمة بـ (بودلير ورامبو وفوكنر) بل صبوا الفلسفات والفكر الغربي في قوالب الشعر العربي وكانوا على وعي بذلك بل أصروا وواصلوا التمرد حتى حدود الكلمة المنتقاة، فقد كتب جبران مقالا بعنوان (لكم لغتكم ولي لغتي) يؤكد فيها المنحى المهجري الجديد في كسر إلوهية الكلمة الشعرية وإنزالها إلى مستوى اللغة اليومية المستعملة بل إلى اشتقاق كلمات جديدة إذا دعت الحاجة فقد استبدل (غرابيب) بدل (غربان) وأخيرا تصل الدعوة قمتها بمحاولة توظيف كلمات معربة في النهل الشعري مثل (راديو، دولار، كمان،... الخ).

ويواصل المهجريون إلغاء الفروق لا بين لغة الشعر ولغة النثر فحسب بل إلى هدم أسوار الأوزان الشعرية والقوافي، فقد مالوا أولا إلى البحور القصيرة أو المجزوءة، مما هيأ لهم الطريق إلى ولوج فن الموشح، ومع ذلك لم يحافظوا على بحور الموشح الأندلسي الذي آثر بحورا محددة بل صاغوها على مختلف البحور حتى قال أحد الباحثين عن موشحات عريضة: (إنه لا يسير على طريقة الموشحات الأندلسية بل يغير ويبدل ويدخل ما شاء له النغم الموسيقي من زيادة في التفاعل أو نقص منها). ويؤكد هذا الأمر باحث آخر في قوله: (إننا نجد أنفسنا أمام شكل صياغي جديد كل الجدة لا ينتمي إلى طريقة الموشحات ولا يخضع في صوره وأوزانه وقوافيه وتوزيع أشطره لنظام من النظم المعروفة). وربما أدى ضعف ثقافتهم الموسيقية بالشعر العربي إلى الوقوع في أخطاء موسيقية كما نجد في (معلقة الأرز) لنعيمة. ان هذا التحرر الموسيقي أوصلهم إلى كتابة قصيدة النثر أو الشعر المنثور حيث شعرية العبارة تغادر موسيقاها الخارجية بالوزن والقافية مرة واحدة.

باعتقادنا ان ثلاثة عوامل أدت إلى رسم هذه الصورة: -

الأول: إيثار المضمون على الشكل فقد كانوا بحاجة إلى الشعر بوصفه مكونا وجوديا في ظل غربتهم فآثروا التعبير بأي أسلوب عما يختلج في دواخلهم.

الثاني: ضعف الثقافة العربية بشعرها ولغتها عند المهجريين فمن المعروف ان بعض الشعراء هاجر ولم يزل صغيرا والبعض الآخر ولد في المهجر فكانوا بعيدين عن التراث العربي بكل فروعه، قريبون من الثقافة وتراثها بكل الفروع.

الثالث: التأثر بالفكر الغربي وفلسفاته واتجاهاته، الذي أدى إلى التأثر بالأساليب الشعرية الغربية التي تبناها الشعراء المهجريون.

لقد انتقد بعض الباحثين الشعراء المهجريين وأساليبهم واتهموهم بالعجز عن مواكبة الشعر العربي والانقطاع عنه وهم بالتالي – أي المهجريون – وليدو الشعر الغربي وأساليبه وليس الشعر العربي وأشكاله.

لكن باحثين آخرين وجدوا في الشعر المهجري أساليب جديدة جديرة بالدراسة والعناية بوصفها إضافة جديدة ونسق جديد في قصة الشعر العربي التي ترنو إلى التطور والتجديد وهؤلاء يدافعون عن الأشكال الجديدة للشعر المهجري بقولهم ان البيئة الجديدة والثقافة الجديدة لابد ان تؤدي إلى التأثر بها والأخذ منها لاسيما من ناحية الشعر لأن أذواق المهجريين تربت على ألفها واعتادت التأثر بها.

وأخيرا نقول ان الشعر العربي على مر عصوره تطور عبر اختلاط الثقافات ودخول أشكال شعرية إليه لكن شرط ان تذوب هذه الأشكال في متن النص الشعري العربي وليس إذابة الأخيرة بالأشكال الوافدة إليه وهذا ما حصل للشعر المهجري فقد أغرق نفسه في بعض جوانبه ونصوصه بأساليب الشعر الغربي مما أفقده – لاسيما شعر المهجر الشمالي – هوية النص العربي إلا اللهم ناحية اللغة.